

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية



قسم التعليم الأساسي للعلوم الإنسانية

محاضرات مقياس مذاهب فلسفية كبرى السداسي الثاني

السنة الأولى ليسانس علوم إنسانية

إعداد الأستاذة:

زراوية رزيقة

السنة الجامعية : 2023/2022

المذهب المثالي

1. تعريف المثالية:

- لغة: مصطلح «المثل» Eidos لاتيني الأصل، و مشتق من الفعل ينظر و يرى، و قد أطلق أول مرة على الشكل المرئي ثم أصبح يعبر عن المعنى الكلي المعقول.
- اصطلاحاً: يطلق اسم المثالية على النزعة الفلسفية التي تقوم برد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، و يبدو من هذا التحديد أن المثالية و العقلانية متقاربان رغم أنهما متمايزان في الوقت نفسه، و إذا كان المذهب العقلاني يقابل المذهب التجريبي فإن المذهب المثالي يقابل المذهب الواقعي.

إن أول من استعمل مصطلح المثالية في الفلسفة هم فلاسفة القرن السابع عشر، و منهم ليبنتز الذي جعل «المثالي» مقابلاً «للمادي»، ثم أطلقت المثالية بعد ذلك على الأفلاطونية، و نسب البعض أصل المذهب المثالي لأفلاطون لقوله بعالم المثل و تعرف المثل حسبها بأنها صور و أصول العالم الحسي ذات الوجود المفارق في عالم خاص بها، ولكن يجب أن ننتبه هنا أن نظرية المثل لأفلاطون تتصف بالواقعية كون المثال عنده أمر حقيقي وواقعي. و يعرفها كانط بقوله: « الفكرة الرئيسية للمثالية أنها لا توجد كائنات إلا الكائنات العاقلة المفكرة، و سائر الأشياء التي نعتقد أننا ندركها إدراكاً حسياً في التجربة ما هي إلا امتثالات في عقول الكائنات العاقلة، لا يناظرها في الخارج أي موضوع».

2. المثل عند أفلاطون:

المثل حسب أفلاطون حقائق كلية ثابتة موجودة بالفعل وجوداً خارجياً مفارقاً و مستقلاً عن الإنسان حيث يعتبرها مصدر للمعرفة و علة لها، و مصدر لوجود الأشياء في العالم المحسوس و علة لها.

إن المثل عند أفلاطون مفارقة متعالية، أي أنها موجودة خارج المحسوسات، و أن الله هو صانعها حتى مثل المصنوعات، و أن صلة الموجودات بها إما المشاركة و إما المحاكاة، كما أوضح في محاوره الجمهورية إذ أن ما نراه أو ما اعتدنا أن نراه قد لا يكون الواقع أو الحقيقة بل مجرد ظلال خادعة للحقيقة.

3. خصائص المثل:

- المثل جواهر: و الجوهر هو ما كان وجوده في ذاته، أي لا يفتقر في وجوده إلى غيره.
- المثل كلية: و ليست شيئاً جزئياً، فمثال الجواد ليس هذا أو ذاك و إنما المفهوم العام لكل الحياد.

- المثل ثابتة و ليست فانية.
- المثل هي ماهيات الأشياء جميعاً.
- المثل ليست مرتبطة لا بالزمان و لا بالمكان.
- المثل عقلانية يتم استيعابها بالعقل.

4. أوجه الاختلاف بين المثالية و الواقعية:

تعتبر الفلسفة الواقعية في ميدان الجدل المنهجي أحد قطبي النزاع مع النظرية المثالية، هذا النزاع الذي تحركه موجّهات المنطق نحو الحقيقة خارج نطاق الوعي أو داخله، و هو الأمر الذي يتوقف عليه تحصيل تلك الحقيقة، إما في نطاق سلطان العقل كما ترى المثالية أو منفصلة عنه كما ترى الواقعية، ففيما تتجلى نقاط الاختلاف بين المثالية و الواقعية؟.

تعد الفلسفة المثالية من أقدم الفلسفات الفكرية التي ترجع إلى أفلاطون، و التي تؤمن بأزلية الأفكار و كونيتها التي تسبق المحسوسات، و ترى أن ماهية الأشياء تسبق وجودها، في حين ظهرت الواقعية كرد فعل على المثالية على يد أرسطو تعترف بوجود عالم خارجي عن أي عقل يدركه، و قد جاءت لتوازن بين الأشياء المعروفة و الذات العارفة، و أن العالم الطبيعي الواقعي هو مصدر كل الحقائق. و من أهم خصائص المذهب الواقعي:

- القول بأن للأشياء الخارجية وجوداً عينياً مستقلاً عن العقل الذي يقوم بإدراكها، و عن جميع أفكار ذلك العقل و أحواله.

- العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا ليس إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع.
- العلاقة التي تقوم بين الأشياء الخارجية و أفكارنا التي تمثلها في عقولنا علاقة مشابهة و تطابق.

أوجه الاختلاف	الفلسفة المثالية	الفلسفة الواقعية
الإنسان	- ترى المثالية أن الإنسان عبارة عن جسم و روح، جسم ينتمي إلى العالم المحسوس و روح تنتمي إلى عالم المثل. - لكنها جعلت جل اهتمامها و تركيزها على الروح و اعتبرتها هي الأساس و تعلو بذلك على الجسم.	- الإنسان جزء من الكون خاضع لقوانينه و ليس له إرادة حرة. - لكنها ترى أن أظهر ما في تكوين الجسم الحواس، على اعتبار أنها تنقل وقائع العالم الخارجي و صورته إلى عقل الإنسان، و من ثمة يتمكن من التفاعل و التكيف مع بيئته و عالمه.
الكون و الوجود	- أساس الوجود في هذه الفلسفة هو العقل، إذ تعترف بوجود عالم معقول إلى جانب العالم المادي المحسوس. - تعتبر العالم عالمين "عالم المثل": و هو العالم الذي توجد فيه الحقائق أي المثل، و "العالم المحسوس". و هو الواقع، العالم الأرضي.	- ترى أن الحقيقة توجد في عالم الواقع و المحسوس ، و تشمل جميع الحقائق التي نتوصل إليها بالتحليل العلمي الموضوعي. - الأشياء الواقعية الطبيعية مستقلة عن الظواهر العقلية الإدراكية، و تتغير وفقا لقوانين الطبيعة.
القيم	- تتسم بأنها مثالية ثابتة و مطلقة لا تتغير، و وسيلة للرقى إلى عالم المثل. - تجعل من القيم محددة للأخلاق و تصنفها في ثلاثة هي: الحق، الخير، الجمال.	- القيم موضوعية و نسبية و متغيرة قابلة للتقصي و البحث. - لا تعترف بوجود مثال أو نموذج مطلق ثابت. - معيار القيم في الفلسفة الواقعية هو تحقيق الخير و المنفعة لأكبر عدد من الناس. - يستطيع الإنسان أن يكتشف القيم باستخدام الأسلوب العلمي.
المعرفة	- مصدر المعرفة هو العالم المثالي أي عالم المعقولات. و عقل الإنسان قبل أن يحل في جسم الإنسان كان مزود بالمعارف، و لكن نسيها فقط. - تعد المعرفة الفطرية كامنة كون النفس كانت مزودة بها.	- مصدر المعرفة هو العالم الطبيعي و ما تمليه المعطيات الحسية على الإنسان. - ترى أن للمعرفة صورتان: الصورة الأولى: معرفة حسية تحصل عن طريق الثقة الكاملة بالحواس المدركة، و الحكم بصحة ما جاء عن طريقها. الصورة الثانية: تعترف بإدراك الحواس و لكن ليست بصورة مطلقة بحيث تخضع للنقد و التمحيص.

- المثل هي نظام العالم الأساسي أو نظام الوجود، و معرفة هذه المثل هي العلم الجدير بالاهتمام و هي خالدة و أزلية. - كلما كانت المعرفة مجردة ارتبطت بعالم المثل كانت يقينية و ثابتة.	
--	--

و في الأخير نستنتج أن الواقعية نقيض المذهب المثالي الأفلاطوني الذي يعتبر المثل وحدها هي الموجودات الحقيقية، و يرى أن الأشياء أو الموجودات المحسوسة ليست إلا مجرد أشباح و ظلال للمثل، لكن رغم الاختلاف الظاهر بينهما إلا أن هناك تكامل بينهما لانهما يشكلان نمطين في طبيعة المعرفة المتنوعة كون هذه الأخيرة تجمع بين ما هو عقلي مثالي و بين ما هو واقعي يعتمد على الواقع الحسي لا غير .

المذهب العقلي

1. التعريف بالمذهب العقلي:

• لغة: إن المذهب العقلي أو العقلانية ترجمة للكلمة Rationalisme التي اشتقت من

الأصل اللاتيني Ratio التي تعني العقل، و يسميه ديكارت بالنور الطبيعي أو نور الفطرة حيث يقصد بذلك نور العقل أو المعرفة العقلية.

• اصطلاحاً: يطلق على التيار الفلسفي الذي يقر بأن المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية

هو العقل، و يقوم على الإيمان بقدرة الاستدلال العقلي الخالص على تحصيل الحقائق عن العالم بدون مقدمات تجريبية، و المذهب العقلي بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي Empirisme الذي يزعم أن كل ما في العقل متولد من الحس و التجربة، و هو ما نجده في الموسوعة الفلسفية المختصرة بأن المذهب العقلي: «هو ما يميز النظرية الفلسفية حين تزعم أنه عن طريق الاستدلال العقلي الخالص، و بغير اللجوء إلى أية مقدمات تجريبية يمكننا أن نصل إلى معرفة جوهرية عن طبيعة العالم».

يرى الفلاسفة العقلين أن العقل قوة و ملكة Faculté فطرية تضم العديد من المبادئ و الأفكار التي يتصورون أنها مسبقة و قبلية عن التجربة العملية، و هي الأفكار الفطرية في العقل التي من خلالها نصل إلى المعرفة الصحيحة، أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد، حيث أن كل معرفة خارجة عن العقل هي معرفة غير يقينية و غامضة، و عليه تصبح المبادئ و الأحكام العقلية بديهيات و حقائق واضحة بذاتها و صادقة. ويعود المذهب العقلي إلى سقراط و أفلاطون، و في الفلسفة الحديثة يعد ديكارت المؤسس الحقيقي له، و قد جاء بعد ديكارت فلاسفة عقليون عملوا على تطوير المذهب العقلي و أهمهم مالبرانش، اسبنوزا، و ليبنتز.

2. خصائص التصورات و الأحكام العقلية: و هي سمات و مميزات للأفكار العقلية تتمثل في المسلمات التي ينطلق منها أصحاب المذهب العقلي، تتجلى في أنها:

✓ **فطرية و قبلية:** أي سابقة في العقل عن كل تجربة و مستقلة عنها، و معنى ذلك

أنها موجودة في الذهن منذ ولادة الإنسان، أودعها الله فينا كعلامة للصانع في صنعه، و هي الأفكار الفطرية عند ديكارت التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يعرف العالم الخارجي بل و يستطيع أن يفرض قوانينه و مبادئه عليه.

✓ **كلية:** و معنى ذلك أنها تشمل جميع الحالات الجزئية حيث تكون بهذا عامة و

مشتركة بين جميع الناس و العقول، و يقول ديكارت أن: «العقل أعدل قسمة بين الناس»

✓ **ضرورية:** بحيث تلزم النتائج فيها عن المقدمات لزوما ضروريا، إذ أن الحكم

الضروري هو الحكم الواضح بذاته ذو النتيجة الحتمية، و ضده الممكن أي الحكم ذو النتيجة الاحتمالية.

✓ **بديهية و بسيطة:** فهي بديهية وواضحة بذاتها لا تحتاج إلى البرهنة عليها، و بسيطة

بذاتها غير معقدة لا تقبل الشك.

✓ **مطلقة:** و ثابتة لا تتغير بتغير ظروف المكان و الزمان.

3. صور المعرفة العقلية لدى الفلاسفة العقلين:

إن للمذهب العقلي صورتين الأولى قديمة و الثانية حديثة، و قد ظهرت الصورة الأولى عند أفلاطون في نظريته المعروفة بنظرية المثل حيث يربط أفلاطون بين نظريته و بين أسطورة

التذكر التي تصور لنا النفوس سابعة في عالم المثل و هو العالم الثابت و عالم المعقولات قبل نزولها إلى عالم المحسوسات المتغير، إذ يرى أفلاطون أن المعرفة غير ممكنة إلا إذا تذكر الإنسان الحياة التي كانت تحياها النفس في عالم المثل، و قد أراد أفلاطون بهذه الأسطورة أن يدل على الطابع الأزلي (السابق على التجربة و المستقل عنها) للمعرفة العقلية على اعتبار أن هذه المعرفة في عالم المعقولات تتصف بالثبات و الضرورة و الكلية تماما كالأحكام العقلية عند الفلاسفة العقليين الذين جاءوا بعده.

و قد كانت الصورة الحديثة للمذهب العقلي في مطلع العصر الحديث مع ديكارت الذي يعده الكثيرون أبا للعقلانية الحديثة لأنه أعطى للعقل مكانة عالية في بناء المعرفة انطلق من الفكر العقلاني الخاص كمقدمة أولى استتبط منها الحقائق اليقينية، و هذا من خلال انتهاجه للشك في جميع معارفه كي ينزع عنها كل الشوائب و يقوم بإعادة تصفية و تنقية كل معارفه من الظنون و الغموض، فشك في كل الأفكار التي توجد في ذاته و لم يتبقى إلا فكرة واحدة بديهية و واضحة التي اعتمد عليها في القضاء على الشك و هي فكرة الشك في حد ذاتها؛ كما اعتبر أن الشك هو بداية اليقين حيث زالت جميع المعارف التي كانت عن طريق الحواس التي تقتصر على تزويد الإنسان بمعارف مشتتة لا ترقى إلى مرتبة العلم اليقيني، وما بقي في الذات العارفة إلا الوجود المفكر لأن الذي يشك يجب أن يكون مفكر، والمفكر بالضرورة أن يكون موجود، وهكذا أثبت ديكارت الذات العارفة في الكوجيتو "أنا أفكر إذا أنا موجود"، و منه فإن الأفكار الفطرية في الذهن و السابقة حسب ديكارت مع الشك تولد لنا المعرفة اليقينية و التي تتجلى حسبها في المعرفة الرياضية.

إن البداهة الرياضية هي الغاية التي ينشدها ديكارت من وراء فلسفته لأن الأحكام الرياضية متميزة شديدة البساطة فعلى حد قوله: «إن الأشياء تكون واضحة و متميزة إذا كانت من البساطة بحيث لا يستطيع العقل أن يقسمها إلى أشياء أقل بساطة مثل: الشكل و الامتداد و الحركة... الخ، و نحن نتصور سائر الأشياء كأنها مركبة من هذه»، و تعتمد هذه الأحكام الرياضية على عمليتين أساسيتين من عمليات التفكير أرجع إليهما ديكارت اليقين الرياضي كله هما:

• **الحس العقلي:** و هو الرؤية العقلية المباشرة التي تتعلق بالذهن الصافي اليقظ ندرك

بها الأفكار و المعاني المتميزة و السليمة و الواضحة التي يسميها ديكارت بالطبائع البسيطة، وهو ما نجده في قوله: «أقصد بالحدس لا شهادة الحواس، و لا الحكم الخداع حكم الخيال، و إنما أقصد به الفكرة التي تقوم في ذهن خالص و تصدر عن نور العقل وحده».

• **الاستنباط:** هو عملية عقلية تؤكد صدور النتائج عن المقدمات، أي أنه فعل ذهني

نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنه.

و أما اسبينوزا فقد سار على خطى ديكارت حين أكد أن الفكرة الواضحة المتميزة تبدد كل شك و تحمل معها اليقين، و أنها هي ذاتها معيارا للصدق حيث يقول: «إن الفكرة الواضحة أو الصادقة هي معيار الصدق أو اليقين. فكما أن الضوء يكشف عن نفسه و عن الظلام كذلك فإن الصدق هو معيار نفسه و معيار الكذب».

و قد طور الفيلسوف الرياضي الألماني ليبنتز الأفكار العقلية لديكارت إلى عقلانية منطقية رفض فيها أن تتمثل المعرفة في أفكار لأن الأفكار لا تثبت أو تنفي شيئا و لا يمكننا الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فحسب ليبنتز أن المعرفة تبدأ و تنتهي بالقضايا لأن القضايا هي التي يقال عنها أنها صادقة أو كاذبة، فقد سعى ليبنتز إلى ابتكار لغة رمزية يدون فيها العلماء النتائج التي يتوصلون إليها و يستطيع فهمها العامة من الناس.

- **تعقيب:**

و ما يمكن أن يعاب على العقليين أنهم قد وصفوا الأفكار الواضحة المتميزة وصفا غامضا إذ ترك هذا الوضوح مرهونا بقدرة العقل البشري على اكتشاف الحقيقة من تلقاء نفسه. غير أن الناس جميعا ليسوا بقادرين على التفكير الواضح المتميز إلا عندما يضعون معيارا خارجيا لهذا الوضوح. و في هذا المقام نسجل أن المذهب العقلي عند كانط قد اتخذ طابعا نقديا، فقد أصبحت لدى كانط المبادئ العقلية الفطرية حسب ديكارت مبادئ أولية يضعها العقل ليشكل بها التجربة متصورا أن العقل باطن في التجربة بدلا من أن يكون بعيدا عنها، و تحدث عن التجربة على أنها التجربة المعقولة جامعا فيها بين العقل و التجربة.

المذهب البرغماتي

1) تعريف البرغماتية:

▪ المدلول اللغوي:

اشتقت كلمة البرغماتية Pragmata من الأصل اليوناني Pragma التي تعني الفعل أو العمل، و هي مفهوم أُسسَ على مبدأ الفعالية.

و يرى البعض أن كلمة Pragmata مشتقة من الفعل Prasoo أو Pratoos، و مصدرها Prattein و معناها أفعّل، أي أن البرغماتية تعني كل فعل قصدي يهدف عبر إرادة الإنسان إلى تحقيق هدف معين، و العمل الذي يترك أثراً مفيداً في حياة الفرد.

▪ المدلول الاصطلاحي: و تعني البرغماتية في مدلولها الاصطلاحي أحد المذاهب

الفلسفية التي ظهرت في أمريكا، و يقرر هذا المذهب أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فلا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية . و نفهم من هذا أن الفكرة الصحيحة حسب البرغماتية هي الفكرة الصادقة و الناجحة التي تحققها التجربة، بمعنى أن النتائج أو الثمار المتحصل عليها هي التي تحدد قيمة أية فكرة.

و قد عرفها مصطفى حسيبة في معجمه: «أن البرغماتية هي إحدى مدارس الفلسفة نشأت في الولايات المتحدة في أواخر سنة 1800م، تتميز بالإصرار على النتائج والمنفعة العملية، ويسمى أيضاً بمبدأ الذرائعية، وهو يحدد قيمة الصدق بفائدته العملية، وقد أسسه بيرس وجيمس وديوي، وصيغت الذرائعية كمنهج لحل المنازعات الفلسفية بواسطة مقارنة النتائج العملية الناتجة عن نظرية ما كنظرية للصدق»

فالفلسفة البرغماتية إذن اسم يطلق على عدد من الفلسفات المختلفة التي تشترك في مبدأ عام، وهو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه هذه الفكرة من نفع، أيّاً كان هذا النفع، ومعنى هذا أن الفلسفة البرغماتية تركز على الآثار و النتائج المترتبة عن هذه المعرفة أو الأفكار.

(2) خصائص المذهب البرغماتي:

رغم اختلاف وجهات نظر البراغماتيين وتعدد نظرياتهم بإزاء كثير من المسائل، فهناك سمات عامة مشتركة تجمعهم هي:

أن البراغماتية فلسفة مضادة للاتجاهات العقلية تنبذ التأمل، و ترفض التصورات القبلية والأفكار الفطرية التي تدور حول المبادئ الثابتة، كما ترفض الأفكار المثالية واستبدلتها بالنتائج المحسوسة، وترفض أيضا البحث عن مصدر الأشياء وهمها الوحيد هو البحث عن معرفة صادقة قائمة على أساس التجربة والواقع الخارجي، التجربة هي مخبرها، فهي تبحث عن الجديد عن المستقبل لا الماضي من خلال اعتمادها على المنهج العلمي.

إن البراغماتيين، يقبلون نشاط الحواس؛ ويوافقون على الأخذ في حُسابهم أبسط التجارب، وأخصّها. وحتى التجارب الصوفية يقبلونها إذا ما ترتبت عنها حواصل عملية. ومن هنا، نفهم كيف استحالت الفلسفة على يدهم، إلى منهج لاختبار فاعلية الأحاسيس والأفكار في الحياة؛ وكيف انصرف التفكير معهم من المبادئ والأوليات إلى النتائج والغايات .

(3) فلسفة بيرس البرغماتية:

لقد جاءت البراغماتية لتقدم لنا معياراً آخر للحقيقة و لصحة الفكرة أو المعتقد يقوم على ربط الفكرة بنتائجها التي تترتب عنها ومدى ما يكون لها من طابع عملي، وكان بيرس أول من صاغ هذا المعيار، من خلال مقاله بعنوان «كيف نجعل أفكارنا واضحة»، ويرى بيرس أن الفكرة لابد أن تكون واضحة ثم لابد أن نعتقد بإمكان تطبيقها فعلاً، وقد عبر عن ذلك بقوله: «إن معنى الفكرة التي نعتقد في صحتها هو ما أنت على استعداد للقيام به من عمل إزاءها». وقد حدد منهجه بفكرتين رئيسيتين هما:

- أن الفكرة الحقيقية هي التي تجد طريقها إلى التطبيق العملي وتقودنا إلى الهدف.
- إن فكرتنا عن موضوع ما هي إلا فكرتنا عن النتائج المترتبة عن الآثار العملية

ونستنتج من هذا أن معنى أية عبارة أو فكرة يجب أن يقابل أو يؤدي بالضرورة إلى إمكانية تطبيقها في عمل أو سلوك، فإذا كان للعبارة نتائج و آثار عملية كان لها معنى وسوف تكون صادقة. وأيضاً أن كل كلمة أو عبارة ليست لها نتائج عملية فهي إذن حسب بيرس لا تتضمن أي معنى حيث يقول: «إننا لكي نقرر معنى تصور عقلي ينبغي أن ننظر

إلى نتائج العملية التي نتصور أنها تترتب بالضرورة على صدق ذلك التصور، وستشكل مجموع هذه النتائج المعنى الكلي للتصور».

(4) ذرائعية كل من جيمس و ديوي:

بلغت البراغماتية ذروتها مع جون ديوي ووليم جيمس فيعد ديوي وجيمس أحد كبار روادها وأكثرهم تأثيراً من مناحيها بعد بيرس.

لقد وصف جيمس الحقيقة بأنها غير ثابتة وأنها في حركة وتغير أي أنه ربط الحقيقة قياساً بالنتائج، حيث يؤكد وليم جيمس أن التفكير من أوله إلى آخره، وفي كل حالة من حالاته هو من أجل "الفعل البرغماتي النفعي"، وليس تصوراً لأي شيء ندركه عن طريق الحس سوى ذريعة يراد بها تحقيق غاية من الغايات، ويعني هذا أن الأفكار يجب اختيارها إما بحصول ما يتوقع حصوله من التجارب الحسية، أو أن تأتي الانفعالات المعبرة عنها ملائمة للغرض المقصود منها، فليست الحقيقة سوى التفكير المطلوب النافع الملائم الذي يأتي محققاً.

يوضح ذلك جيمس بقوله: «إن أفكارنا يجب أن تتفق مع الوقائع أو الحقائق، سواء كانت هذه الحقائق ملموسة أم مجردة» إن مقياس هذا الصدق أو الحق لا يقوم في مطابقته لموضوعاته، بل في مدى ما يحققه من نتائج للبشرية، و ليس ثمة حق يقوم بمعزل عن هذه البشرية. وما يحققه من نتائج، لا يمكن إلا أن يكون ناجحاً.

ويتمثل النجاح في «التوافق بين مستقبل الوقائع، ورغبات الإنسان وأمانيه». وفي حالة الإخفاق، يظل المستقبل غامضاً حيث يتعين على الفرد العيش في قلق وكآبة واضطراب عقلي. ولهذا، فإن المنهج الصحيح هو ذلك الذي يحدد الآفاق المستقبلية التي يتحقق فيها التناغم الفعلي بين تطلعات الأفراد وأحلامهم. إنه الوصول إلى حلول لمشكلاتٍ نظرية لا عن طريق تحليلها تحليلًا جدالياً أو عن طريق افتراض فروض قبلية مستقلة عن التجربة، بل يكون حل المشكلات بمتابعة آثارها الملموسة ونتائجها الحسية بحيث إن لم يكن للمشكلة نتيجة من هذا القبيل أو لحلها أثر نافع في الحياة، كانت المشكلة باطلة. يقول جيمس: «إن الفكرة الصادقة هي تلك التي تؤدي بنا إلى النجاح في الحياة». ويضيف قائلاً: «إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية، وتعزيزها وتوثيقها، وإقامة الدليل عليها. والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها. هذا هو الفرق العملي الذي يحدث لنا إذا كانت لدينا أفكار صحيحة. ومن ثم فهذا هو معنى الحقيقة، لأن ذلك كل ما نعرفه عن الحقيقة».

و يصرح جيمس بقوله: «إني أستخدم البراغميات بمعنى أوسع، أعني أنها نظرية خاصة في الصدق». والمعروف أن مبحث الصدق هو أحد المباحث الأساسية للمعرفة. ويؤكد بأن الصدق و المنفعة صفتان مترادفتان للفكرة: "أسمي الفكرة صادقة، حين أبدأ بتحقيقها تحقيقاً تجريبياً؛ فإذا ما انتهيتُ من التحقيق وتأكّدتُ من سلامة الفكرة، سميتها نافعاً»، ويوضح جون ديوي ذلك كله بقوله: «إن محك الأفكار والتفكير عموماً، يوجد في نتائج الأفعال التي تُقضي الأفكار إليها، أي في الترتيب الجديد للأشياء التي ندفعها للوجود. وهذا هو الدليل الذي لا إبهام فيه، على قيمة الأفكار المستمدة من ملاحظة منزلتها ودورها في المعرفة التجريبية».

ومن المفيد هنا، أن نُذكّر بأن الصدق ليس في مجرد المطابقة، وإنما في إثراء العالم الموجود وإمداده بالجديد. أما الصدق في ذاته، كما تذهب إليه الفلسفات التقليدية، فلفظٌ أجوفٌ لا يحمل معنًى. فهو ليس مجرد صفة عينية تقوم في طبيعة الفكرة أو المعتقد، كما يزعم الصوريون من الفلاسفة، ولا هو حق بصرف النظر عن ظروفه، كما هو لدى العقلانيين؛ إنه وسيلة لتحقيق أغراضنا الفكرية والعملية؛ إنه كالسلعة، قيمتها تقدّر بثمنها الذي يُدفع فيها فعلاً في السوق. ومع ذلك، فإن الإنسان ليس مصدر الحكم على الأشياء بالصدق أو الكذب. فلا وجود لفرض أصدق من فرض آخر، ولا تخمين أحق من تخمين آخر، إذ أن الصدق الوحيد هو الواقع المتقلب نفسه والحقيقية الوحيدة فيما يضيف جيمس هي الواقع نفسه.

وما يبرر ذلك، أن التجربة هي في تجدد مستمر، وخلق مستديم. ولكي يكون نشاط معرفيٍّ نشاطاً يستحق أن نصفه بالصدق، يلزم أن يوفّق بين معارفنا القديمة والتجارب الجديدة؛ فالصدق هو صدق بالنسبة إلى الواقع الذي ليس متحجراً ولا ثابتاً على حال.

إن الوقائع المادية والعلاقات فيما بينها، ليست في حد ذاتها صادقة ولا كاذبة، وإنما هي أشياء موجودة فحسب. إنها "خرساء"، ونحن الذين نكتشف قيمتها من خلال تجلياتها النفعية، فنصّفها بالصدق أو بالكذب. ولهذا، فإن المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة هو الواقع؛ إلا أن هذا الواقع لا يرضى لنفسه، السكون المطلق، ولا الانغلاق عن طبيعة رغباتنا المتقلبة. إنه بلغة المذهب البراغماتي، واقع خاضع لنا، أي أنه مرّن، قابلٌ للتشكيل والتعديل.

و لقد كان هدف جون ديوي هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية متذرعاً بالمنهج العلمي لإحداث هذا التغير في القيم الأخلاقية والسياسية وغيرها، ولهذا سمي ديوي مذهب البرغماتي "بالأداتي" "لأنه يتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه من

تغيير في مجتمع صناعي، وكان ديوي يؤمن بأن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير إن دعت الضرورة إلى تغييره وقد استطاع أن يكون بفلسفته داعياً إلى تغيير القيم.

لقد استبدل ديوي مشكلة الصدق بمشكلة القيمة وهذا الاستبدال يرجع إلى نظرة جديدة لمهمة الفلسفة بوجه عام، إذ يعتقد ديوي أنه إذا أرادت الفلسفة إصلاح نفسها فعليها أن تمتنع عن معالجة المشكلات التي تصدى لها الفلاسفة القدماء وأن تصبح منهجاً لمعالجة مشاكل البشر فمهمة التفكير إذن هي أن يحل المشكلات التي أثارته وهذا بإتباع خطوات البحث.

إن نظرية البحث عند "ديوي" تقوم على التجريب فمن التجربة نبدأ وإلى التجربة نعود، فالصادق عنده هو ما يفيد والنتائج تستخدم على أنها اختبارات لابد منها للدلالة على صدق القضايا فالهدف من البحث هو تحديد الشروط التي تجعل القول المنتج أداتياً وفعالاً، فغاية البحث تغيير ما هو قائم إلى صورة جديدة تخدم أغراض الإنسان، فقد جعل الأفكار ذرائع نتذرع بها في توجيه السلوك وضبطه ضبطاً يحقق للإنسان غاياته، فإذا لم تكن هذه الأفكار أدوات أو وسائل تعين على ذلك، فهي باطلة ومن الخطأ أن نفرق بين ما هو نظري وما هو عملي من جوانب حياتنا إذ يستحيل فصل الأفكار النظرية عن تطبيقها العملي.

- تعقيب:

و في الأخير يمكن القول أن نجاح الفكرة في الواقع هو جوهر المذهب البرغماتي، ويكاد أن يكون هناك اتفاق عام على أن البراغماتية تعتبر تطويراً للاتجاه التجريبي العملي ودفعاً به إلى نتائجها الطبيعية من حيث اعتمادها على الواقع الخارجي كما يبدو لنا في خبرتنا الحسية، لكننا نتساءل في هذا المقام كيف نعرف هذا الواقع الذي نقيس به معتقداتنا وحقائقنا؟ .

إذا كان الواقع المقصود هنا بحسب البرغماتية هو الواقع الحسي كما نعرفه، فإن هذا سيجعل كل الحقائق على درجة واحدة من الصدق، مما يجعل من الفكر بالتالي صورة فوتوغرافية تقريبا للواقع . و من جهة أخرى إن مفهوم الفاعلية أو النجاح أو العمل حسب البرغماتية غير واضح، فما يكون سلوكا عمليا ناجحا و مطابقا للمعنى الذي أعطيته للمدرك قد يكون خطأ وفشلا بالنسبة لإنسان آخر.

المذهب المادي

- ماهية المذهب المادي:

إن المذهب المادي في الاصطلاح الحديث يعني أن المادة هي الموجود الحقيقي الوحيد والأصل و كل ما عداها فرع، و تعرف المادة بأنها كل ما يشغل حيزا من مكان، إذ بها يفسر العقل و الروح و الحياة الإنسانية و كل ما يحتاج إلى تفسير فهي أزلية لا أول لأولها و أبدية لا آخر لآخرها، و للمادية اتجاهات متعددة تختلف من حيث الخصوصية حيث تصل إلى درجة التناقض فيما بينها، و من بين أهم هذه الاتجاهات نجد:

(1) المذهب الطبيعي: ينطلق هذا المذهب من مسلمة مفادها أن الطبيعة هي الحقيقة الوحيدة في هذا الكون. حيث يستبعد هذا المذهب أي مبدأ فوق الطبيعي، و يؤكد أن الكون منظور على ذاته ومكثف بذاته ومعتمد على ذاته ، كما يرى أنصار هذا المذهب أن نظام الطبيعة يخضع لقوانين قابلة لأن تعرف إذا ما استعملنا

(2) المذهب الحسي: (التجريبي) يرى أنصاره أن الحواس هي مصدر المعرفة الإنسانية، و يمثلها قديما أبيقور الذي أقر أن الإحساس هو الأساس الأول للمعرفة، و وضع أربعة معايير للحقيقة أو المعرفة هي: الإحساس - الشعور - الانفعال - و التنبؤ.

و يمثل المذهب التجريبي في صورته الحديثة أنصار المدرسة الانجليزية: جون لوك، جون ستوارت ميل، و في فرنسا كوندتيك.

يؤمن جون لوك بالحواس كمصدر للمعرفة الإنسانية، و يؤمن بأن من فقد حاسة من حواسه فكأنه فقد المعارف جميعا، حيث يقول أن الإنسان يولد صفحة بيضاء ناقدا بذلك نظرية الأفكار الفطرية عند العقليين أمثال ديكارت، حيث يكون عقله حسب لوك صفحة بيضاء خالية من أي أفكار أو انطباعات تكتب عليها التجربة الحسية الخارجية ما تشاء من المعارف و الأفكار.

و يعتبر دافيد هيوم فيلسوفا تجريبيا بمعنى الكلمة حيث انطلق في دراسته للمعرفة من نفس الاتجاه التجريبي الذي خطه جون لوك. يرى هيوم أن المعرفة كلها مكتسبة و تنقسم إلى قسمين:

✓ **الانطباعات الحسية:** و هي بمثابة إدراكات قوية حسب هيوم عبارة عن الاحساسات و

الانفعالات و العواطف التي تأتي من المحسوسات المادية إلى أعضاء الحس مباشرة.

✓ **الأفكار:** و هي ادراكات حسية ضعيفة أي نسخ باهتة و واهنة، و لا تكون للفكرة أي

قيمة إلا إذا كانت صورة لأثر حسي.

و تتم العمليات العقلية عن طريق قانون التداعي بين الأفكار، و هو أن ورود فكرة إلى النفس تستثير أو تستدعي فيها فكرة أخرى بطريقة آلية و ذلك بسبب علاقات التشابه و التجاور في المكان و الزمان التضاد و التلازم في الوقوع مثل العلة و المعلول.

(3) المذهب الوضعي: و المراد بالمذهب الوضعي هنا التجربة العلمية حيث يرى ممثليه أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، و يتخذون من شهادة الحواس وحدها طريقا للعلم و المعرفة و معيارا للحق و الحقيقة في مقابل من يتخذون من العقل أداة ووسيلة للعلم و المعرفة، يتميز أنصار هذا المذهب بنزعة تجريبية متطرفة فالعلم حسبهم لا يدرس إلا ماهو محسوس، و يخضع للتجربة والملاحظة أما ما عدا ذلك فهو مجرد أوهام ميتافيزيقية سابقة على المرحلة الوضعية حسب أوغست كونت. و مجرد لغو لا معنى له حسب كارناب، و عبارات فارغة من المعنى طالما أنها موضوعات تتجاوز الخبرة الحسية لأنه لا يمكن التحقق من صدقها عمليا.

- **تعقيب:**

وبناء على ما سبق نلاحظ تشعب فروع المذهب المادي الذي يتميز بالتباين والاختلاف لدرجة التناقض ، فماركس مثلا يعتبر أن المادة القديمة (نزعة ساذجة)، وأن مادة القرن الثامن عشر ماهي إلا نزعة آلية ميتافيزيقية، كما ان المذهب الوضعي في عمقه مجرد نزعة مثالية رغم ما يظهر من تمسكه بالتجربة ومناهج العلم .

المذهب الوجودي

1. ماهية الفلسفة الوجودية:

تعتبر الوجودية من أهم التيارات الفلسفية المعاصرة التي تهتم بالوجود العيني للإنسان، و ما يرتبط به من تفكير و شعور و فعل و ما يعيشه من قلق و مخاطرة و حرية فهي فلسفة تحيا الوجود و ليست مجرد تفكير في الوجود.

ترجع الجذور التاريخية للوجودية إلى الفيلسوف الدنماركي "سورين كيركغارد" الذي يعتبر بمثابة العرب و الأب الروحي للفكر الوجودي، وتعمق فيها فيما بعد الفيلسوفان الألمانيان "مارتن هيدغر" و "كارل ياسبرز" و الفرنسيين أمثال "جون بول سارتر" و "سيمون دي بوفوار" و "غابرييل مارسل" و "ألبر كامو..." وغيرهم.

الوجودية لغة، كلمة أصلها يوناني وتعني الخروج أو الانبثاق إلى الوجود، وهذا الانبثاق بالنسبة للإنسان، يعني أنه يتم بإرادة حرة. أي باختيار حر بمعنى آخر إن الإنسان يضفي من خلال هذا الانبثاق عن العدم إلى الوجود، أنماطا أو شكلا وجوديا جديدا ، نتيجة لاختياره الحر.

تطلق الوجودية على كل فلسفة أو تفكير ينطلق من تحليل الوجود كما هو معطى، أو معكوس في الشعور . ولذلك تعتبر "الوجود" (لاسيما الوجود الإنساني في نهاية المطاف)، ليس شيئا يمكن ان نجرده ونعرفه من الخارج بوصفه أحد المعطيات الموضوعية، وهو ليس مفهوم مجرد، أو يمكن إدخاله في قوالب التصورات، إنه إمكان مطلق ، يتعالى عن كل موضوعية، وغير قابل للتحديد.

-إنها موقف فلسفي يتخذ من موضوعه، لا الماهية، بل الوجود.

-إنها مفهوم ميتافيزيقي، يرى أن الإنسان على عكس الأشياء، لا يمتلك ماهية أو طبيعة، بل وجودا. وجود ملازم لحياته، ولوجوده في العالم، أين يحقق ويجسد حريته، في كل لحظة من صيرورتها.

و قد جاء في موسوعة لالاند الفلسفية، حول تعريف الوجودية: "إن الفلسفة الموسومة بالوجودية، لا تعتبر الواقع موضوعا في مواجهة فاعل عارف، بقدر ما تعتبره وجودا يحولنا الاحتكاك به، وهي لا تعزل فينا الملكة العارفة لباقي كوننا، إذ تجعل الفرد بكامله، بكل استجاباته الوجدانية والشعورية تجاه الأشياء، يشارك في البحث الفلسفي."

من خلال هذه التحديدات، نجد أنها تلتقي في أن الوجود الإنساني، هو المركز كما هو معاش من خلال شعوره . إن الوجودية، تعني أن ماهية الإنسان، تتمثل فقط في وجوده في العالم. إن الوجودية هي ذلك المذهب الذي يجعل الحياة الإنسانية "ممكنة"، والذي يقرر من جهة أخرى بأن يسعى الإنسان إلى أن يجد نفسه الضائعة، وأن يقتنع أنه لا توجد قوة يمكن أن تنزعه من نفسه.

والوجودية نوعان، (وجودية مسيحية) مثلها كارل ياسبرز، غابريال مارسيل (وأخرى ملحدة) مثلها مارتن هيدغر، سارتر، ويقول "جان فال": "الوجودية هي تلك النزعة الفكرية التي سيطرت على الفلسفة الفرنسية، خلال الحرب العالمية الثانية، وما بعدها. وللوجودية الفرنسية شكلان، ومنابع شتى، كيركغارد، وهوسرل، وهيدغر، ولنا أن نجزم بأن هذه الوجودية الفرنسية، في كل من شكلها المختلفين، فلسفة أنطولوجية، وظاهرية، بقدر ما هي فلسفة وجودية ."

وانطلاقا من هذه التعاريف للوجودية، يرى هيدغر أن الوجودية، تعني أن ماهية الإنسان تتمثل فقط في وجوده في العالم، وهو ما يطلق عليه "دازين". "إن الوجودية كما يقول ياسبرز" خط من التفكير يستطيع الإنسان بفضل أن يكون ذاته."

◀-ربما من أبرز الظروف التي ميزت ظهور هذه الفلسفة سنجد ثلاثة عوامل هي:
-أنها جاءت بمثابة رد فعل على الفلسفة التقليدية التي استندت على العقل كوسيلة وحيدة للوصول إلى الحقيقة عامة و الحقيقة الإنسانية خاصة

جاءت بالتالي كذلك ردا على النزعة العلمانية التي كانت سائدة ف القرن 19 وقبله، التي ترى أن العلم وحده يجب أن يشكل محور الإنسانية وأداة خلاصه.

لذلك فإن هذه الفلسفة ترى أنه لا العقل، ولا العلم، قادرين عن الوصول بنا إلى اليقين، لسبب بسيط، وهو أنهما عاجزين عن فهم، ما نتعرض له في كل لحظة من ظواهر وجودية مثل، الموت و الفشل، و الذنب، الذين يشكلون نسيج حياتنا اليومية. ولذلك رفعت هذه الفلسفة شعارا مفاده أن على الإنسان أن يهتم بوجوده الخاص وما فيه من وقائع فعلية، لا أن

يتهرب أمامها أو يتستر وراء حجج العقل الفارغة، أو أدلة المنطق اللامجدية، و التي لا ترتبط بمعاناة حياتنا اليومية الوجودية.

ويعتبر الكاتب والروائي، والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر أبرز مؤسسي ومنظري المذهب الوجودي الذي ذاع صيته، بل إنه فيلسوف الوجودية بدون منازع، تتركز نظريته في الوجودية في التأكيد على أسبقية الوجود على الماهية، فالإنسان يوجد أولاً، ثم يكون ماهيته، ويؤسس لمشروعه الحر الذي يدعم وجوده. وهو ما سنراه عبر مراحل هذا التحليل:

◀- منطلقاتها:

يرى الوجوديون (سارتر) أنه يجب التصريح بأن الوجود وجودان: وجود في ذاته ووجود لذاته.

1- الوجود في ذاته : وهو يمثل عالم الأشياء، وهذه الأشياء هي ظواهر خارجية قابلة

للدراسة العلمية تخضع للتجربة ويفهمها العقل، وهي موضوعات ثابتة ولا دينامية، لأنها تستجيب لنظام مُطّرد من قوانين الكون.

2- الوجود لذاته : هو الوجود الإنساني الذي يشعر به كل واحد منا في عالمه الداخلي، و

يحياه بكل جوارحه. ومن مميزاته أنه ليس وضعاً نهائياً ولا ساكناً، وإنما هو تجاوز مستمر لما هو عليه كل واحد منا؛ "إن الإنسان . فيما يقول سارتر . هو قبل ذاته أو بعدها، ولكنه ليس ذاته البتة". إن الإنسان موجود أولاً، وهذا الوجود يعني ابتداء " الوجودي العيني المتحقق هنا والآن، وهذا التعيين يتمثل في الوجود الجسدي يقول سارتر: " ان هذا الكائن هنا هو بالضبط، الجسد." نستطيع ان نلاحظ من خلال هذه الفكرة المحورية في الفلسفة الوجودية، ما يأتي:

1- التمرد على القول بأن الماهية سابقة للوجود : من المعروف أن الوجودية تُعتبر ثورة

عنيفة ضد الفلسفات التقليدية، وخاصة منها الحركة العقلية والمثالية التي بدأت في عهد ديكارت، وانتهت عند هيجل. وذلك لأن هذه الفلسفات:

أ- افترقت الإنسان الواقعي المشخّص : فإذا عرضت له اهتمت به كمفهوم فارغ من كل تعيين؛ وظهرت صيغها في هذا الصدد، صيغا عقلية جوفاء لا تربطها بدنياً الواقع رابطة؛ وكأنها تدعو إلى صبّ جميع الناس في قوالب معينة تزوب فيها العواطف والاعتقادات وأساليب الحياة ومناهج التفكير؛ وهي قوالب تنحصر في معنى مجرد وكي صالح لكل الأزمان. فالإنسان في الحقيقة وكما يقول كيركغارد، فرد فريد لا يمكن تكراره، ولا يوضع تحت معنى أعم؛ ومن هنا، ينحصر في معنى مجرد

ب- وأضرت بفهم حقيقته التي تتمثل في حضور الشعور ودوامه؛ إن أبغض شيء إلى الفلسفة والأدب]، البعدُ عن دائرة الوجود الحق وجود الذات، ولا يمكن أن يتساوى عندهما وجودُ الإنسان الفرد ووجود الأشياء. ولهذا، نلاحظ كيف تتفُّر الوجودية من العلم وتتهمه بأشنع الاتهامات، كالتعميم و التشيي . وتستعيز عنه بالأسلوب الأدبي.

ج- وجعلت الأشياء الخارجية مستقلة عن الذات العارفة؛ واعتبرتها مصدر الحقيقة، كما هو واضح لدى الواقعيين والوضعيين بوجه أخص.

د- وتتنظر إلى الوجود باعتباره لاحقا للماهية، وليس سابقا لها؛ وفاتّها أن هذه القاعدة تنطبق على الأشياء لا على الإنسان فبذرة البرتقال مثلا، لا تعطينا تيناً ولا تفاحا، فهي شجرة لا حول لها ولا قوة سوى أن تستجيب لقضائها أو حتميتها، وهي أن تكون شجرة للبرتقال. أما الإنسان، كما سيتأكد لنا لاحقا، فهو وجودٌ يتولّى تحديدَ ماهيته بنفسه. ومن هنا، نفهم لماذا وقع تمرد الوجودية عن كثير من الفلسفات التقليدية.

2-إثبات القول بأن الوجود سابق للماهية، والتمرد على نظام الأشياء :

أ- الوجود أولاً :ومن هنا أيضا، نفهم لماذا انتقلت الفلسفة من دراسة الوجود المجرد، إلى دراسة الإنسان المشخص في وجوده الحسي، وفي مواقفه الواقعية التي تربطه بزمانه ومكانه وظروفه وأحواله؛ ولماذا يجب أن يبحث الفيلسوف عن المعرفة الصحيحة في أعماق نفسه؛ وبدلا من أن نُثبت كوجيتو ديكارت "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، يجب أن نقول مع سارتر على لسان المتكلم: "أنا أفكر، فأنا إذن كنت موجودا" أي الوجود أولا، والتفكير أو العمل ثانيا... فأنا لست هذا المحمول أو ذاك؛ فلي أن أكون. وفي ما يشبه هذا السياق، يقول سارتر كذلك: "سأكون عندما لا أكون" أي سأكون، ما سأكون قد أنجزته إلى حلول الموت.

ب- التمرد على نظام الأشياء:ولكي أحدد ماهيَّتي، وجب أن أختار، ولكي أختار وجب أن أكون موجودا؛ ولأنني متمرد عن طبيعة الأشياء، ولأنني مشروع لا موضوع، فأنا لا أتوقف عن الاختيار، ولا عن تحمل المسؤولية بكل أبعادها.والشيء الذي يقف حجر عثرة أمام محاولات تعريف ثابت للإنسان، هو مصيره وتحقيقه الذاتي المتغير. وهنا، يحذر الوجوديون من التعريف الجامع المانع له، لأن كل إنسان هو ما ينتهي إلى صناعته؛ ولهذا، فتعريفه يستمر ناقصا غير مكتمل قبل نهاية حياته كما اشرنا سابقا.

◀أيهما الحقيقة، التفكير في وجود العالم الخارجي أو استبطان ذاتي لذاتها والعيش

معها؟

1-الشعور أو الحدس هو الوسيلة التي تُناسِبُنِي: وإذا كان العقل لا يستطيع أن يتقدم في هذا السبيل لِيُنبِّئَنَا عن شيء، أو ليقَرِّرَ أمرًا، فلا مناصَّ من استعمال الشعور؛ فهو وحده الذي يعتمد على تبليغنا أشياءً، كثيرا ما نفتقدها بين المجالات الوجدانية. فهو قادر على الاستمرار، حيثما تنقطع سلسلة الاستدلالات العقلية والمقارنة الفلسفية الخالصة.

2-الشعور هو دائما، يتجه إلى العالم الخارجي، ولا يرضى لذاته، أن تكون منطقية على نفسها: إن الأنا المدرك عند هوسرل يستلزم بالضرورة، قصدا مُعيَّنا أي اتجاهها نحو موضوع مدرك لأن الوجدان عنده دائما وجدانُ شيء. وفي هذه النقطة، يؤكد سارتر بأن العالم يكون قبل تدخل الوجدان الذي يعرفه، خليطا لامعقولا. وهذا الشعور باللامعقولية هو الذي يجلب "الغثيان". يقول: إن علاقتي بالعالم هي التي صيَّرتُه بالنسبة إليَّ ذا دلالة، إذ أنه صار قابلا للمعقولية، وهو يتكون من ظواهر هي التي تؤلف الموجودات الحقيقية.

-هل يُرتجى من كون الإنسان إنسانا أي من كونه مشروعا ووجودا متراميا، الحصول على السعادة أو على العكس من ذلك، الارتقاء في يَمِّ المخاطرة، وما يترتب عنها من قلق وشؤم؟

إن الإنسان حر مختار، وفي اختياره يقرر نقصانه، لأنه لا يملك تحقيقَ الممكنات كُلِّها. فهو يسعى بين (الإمكان) وهو الوجود الماهوي (وبين الواقع) وهو الوجود في العالم، وذاتُه تعلق على نفسها بأن تنتقل من الممكن إلى الواقع، فتحقق ما تقرَّر تحقيقُه، وفي هذا التحقيق تَخَاطُرٌ، لأنها معرضةٌ للنجاح والإخفاق. ومن الشعور بالمخاطرة، ينتابه القلق؛ لأنه على وعي بأن تشكيل ماهيته بين يديه؛ وفي تشكيلها، يتحمل المسؤولية ليس فقط، عن اختياره كوجود، وإنما عن مصائر جميع الناس؛ ويتم ذلك على الرغم من أن اختياره لا يُقترن برؤية، ولا يكون مسبوقا بتدبير عقليٍّ أو تحديدٍ لغاية أو معرفةٍ لبواعث. مما يفضي به لا محالة إلى الضيق والقلق والحيرة. وإذا كان الواحد منا مضطرا إلى الاختيار، فذلك لأنه لا بد من أن يفعل، إذ الفعل هو الوجود وبغيره لا يوجد الفرد. ولكي يفعل، ليس في وسعه أن يفعل كل الممكنات، بل لا بد له من أن يختار أحدَ أوجه الممكنات العديدة. لكن الاختيار معناه نبذُ إمكاناتٍ أخرى موضوعة أمامه، وهذا الإقرار بمخاطرة. ومن هنا، قال كيركغارد: إن الاختيار يجر إلى الخطيئة وإلى المخاطرة؛ والمخاطرة بطبيعتها، تؤدي إلى القلق واليأس. والحرية اختيار مطلق؛ والاختيار ينطوي على النبذ، مما يسمح للعدم بولوج الوجود. ولهذا، كان في الوجود هُوَّةٌ وثغرة لا يمكن ملؤها أبدا. ولا سبيل إلى الخلاص من اليأس.

ليس منشأ القلق عند سارتر، الأحاسيس والعواطف على نحو ما هو عند غيره من الوجوديين، وذلك طبيعي، لأن الفكر عنده، يبدو أنه يخنق العواطف أو يكتم أنفاسها. وإنما منشؤه هو مجموعة نتائج اختيارنا للقواعد التي يسير عليها في سلوكه، دون أن يستطيع الحكم على قيمتها التي هي ذاتها، تنشأ من هذا الاختيار نفسه؛ وأصل هذا القلق هو شعور الفرد في أثناء فعله الحر، بالخطيئة الناشئة بالضرورة عن الاختيار. هذا الاختيار الذي هو مرتبط دائماً بحرية الآخرين، وهو ما يمنح للحرية بعدها الإنساني، فحرية الفرد متصلة بحرية الآخرين، وحرية الآخرين مرتبطة به .

◀ نقد الوجودية:

- حصر الوجودية للإنسان في ذاتيته الفردية.
- الطابع التشاؤمي والانهمازي لهذا المذهب، حيث تجعل الإنسان يعيش في كآبة، وقلق وملل وعبث ويأس... نتيجة شعوره، بأنه كائن قذف به في هذا العالم، وهو ينظر دائماً الى الآخرين على أنهم جحيم
- الحرية في الوجودية هي الجبرية والحتمية، فعدم الاختيار هو اختيار، ومن ثم فلا وجود للحرية في حقيقة الأمر. انها تمتزج بالفوضى.
- إلغاء الدين، والقضاء على القيم الروحية، والاكتفاء بالإنسان وحرية. و هنا نتساءل وهل يستطيع الإنسان العيش بلا قيم؟...